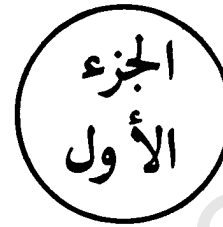

الفكر السياسي

تأليف
د. نظام محمود بركات

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة:

يعد الفكر السياسي في طليعة مجالات علم السياسة، فعلم السياسة في معظم الحالات يبدأ بالتفكير ووضع التصورات لطبيعة السلطة او المؤسسات المنشودة والتي قد تسبق الواقع السياسي القائم، وفي حالات اخرى فان عملية التفكير والتأمل تأتي من خلال وصف وتحليل الواقع السياسي وانتقاده، ومحاولة وضع تصورات بديلة لما يجب ان تقوم عليه السلطة والدولة.

واذا ما نظرنا الى الفكر السياسي على أنه التفكير بالظواهر السياسية المحيطة بالانسان فاننا نجزم بان هذه العملية قد بدأت منذ وجد الانسان ومنذ وجدت الحضارات القديمة، فاينما وجد الانسان ظهرت الحاجة لايجاد نوع من التنظيم لحياته، ووجب وجود سلطة تكون مسؤولة عن ادارة شؤونه، ومنذ ذلك الحين بدأ الانسان يبحث في متغيرات تلك السلطة بتنظيماتها ووظائفها المختلفة، فوقف مؤيدا لها في أحيان معينة ووقف معارضا لها في احيان اخرى، ومن هذا الصراع مع السلطة ظهرت الافكار والنظريات السياسية التي حاولت متابعة تطور السلطة باشكالها المختلفة، وكانت هذه الافكار والنظريات باستمرار على اتصال بالاحوال والواقع السياسي القائم فهي نتاج لهذا الواقع تعبر عن شكل السلطة والمؤسسات القائمة فيه حينا، وتسبق هذا الواقع وتقوده الى تصورات وحلول خيالية لم تكن معروفة احيانا.

ومن هنا تظهر الصعوبة في مجال البحث في الفكر السياسي لان الفكر السياسي نتاج عقلي في جميع احواله، وعقول بني البشر وقدراتهم تتفاوت وتتباين تبعا لمقومات الانسان الطبيعية ونظرا للظروف التي عاش فيها، مما جعل الافكار السياسية تتأثر بهذه المتغيرات تبعا للزمان والمكان، وجعل الافكار والنظريات السياسية عملية نسبية ترتبط بعوامل اجتماعية كثيرة يصعب تحديدها، مما زاد في صعوبة التوصل الى قواعد واصول ثابتة بخصوصها خاصة وان الظاهرة موضع الدراسة هي السلطة وحياة الجماعة العامة وهي موضوع شائك وله حساسية خاصة لدى كل من الحكام والمحكومين على السواء.

خطة البحث:

نظرا للمشاكل العديدة التي تواجه الباحث في مجال الفكر السياسي ومجموعة الصعوبات التي تعترض طريقه وتتطلب منه توخي المزيد من الحذر والدقة في دراسته، كان لا بد لأي دراسة واعية في مجال الفكر السياسي من الاتجاه نحو الدراسة التاريخية التحليلية المقارنة، وذلك من خلال ربط الافكار السياسية بمقدميها وبالبيئة والظروف المحيطة لأن مثل هذه الدراسة تزودنا بمجموعة من القواعد العلمية والاحكام الموضوعية التي تدعم هذه الدراسة وتساعد في التغلب على تلك العقبات ومن أهم مزايا هذه الطريقة:

١- ان اللجوء الى البحث التاريخي والترتيب الزمني للافكار يسهل الكشف عن التفاعل بين الفكر والظروف السائدة بحيث يكون الحكم على مدى صلاحية هذه الافكار من خلال قدرتها على ملاءمة المجتمعات التي عاشت فيها.

٢- تزودنا هذه الدراسة بالموضوعية والحياد وذلك من خلال تحرير الفكر من الالتزام المسبق بافكار معينة والتمسك الجامد بنظرية او التعصب ضد اخرى، وعدم تقديس اي مفكر على أساس أن أفكاره صالحة لمجابهة كل المشاكل.

٣- تساعد مثل هذه الدراسة على فهم تطور الفكر السياسي باعتباره سلسلة متصلة من الافكار وأنه لا يوجد مفكر مهما بلغت درجة ابتكاره لم يستفد ممن سبقوه.

تعريف الفكر السياسي[١]:

يعرف الفكر السياسي بأنه ذلك البنيان الفكري المجرد المرتبط بتصوير

١- أنظر بشأن تعريف الفكر السياسي:

a- International Encyclopedia of the Social Sciences, Vol: 12 The Macmillan Company the Free press New York 1968. P. 307-308.

b- Dictionary of politics, by walter Raymond Brunswick Publishing Co , Lawrencville, 1978, P. 668-669.

جـ - حسن صعب، علم السياسة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٦ ص ٤٦ - ٤٧

وتفسير الوجود السياسي، وأنه يمثل كل ما يخطر في ذهن الانسان حول تنظيمه السياسي وحياته العامة كما هي أو كما يجب ان تكون.

وبذلك تكون الافكار السياسية عبارة عن تصور عقلاني للظاهرة السياسية، وتمثل صورة الظاهرة السياسية كما يتخيلها الانسان في مختلف الازمنة والامكنة. وأنها تقوم على التأمل سواء كان فرديا أم جماعيا وتختلف عن كونها واقع قائم.

وتقسم الدراسات في مجال الفكر السياسي الى نوعين*:

تاريخ الافكار السياسية:

وهي دراسة تاريخية تقوم على المتابعة الزمنية للتراث الفكري المرتبط بتفسير ظاهرة السلطة، وتهتم بآراء وتصورات المفكرين والفلاسفة للظواهر السياسية بمختلف انواعها على مر العصور، والتي تعكس في كثير من الاحيان الظروف والبيئات التي عاشوا فيها، وستكون هذه الدراسة من خلال ربط الافكار بالاشخاص الذين يمثلونها[٢] وفي رأي الباحث بأن هذا النوع من الدراسة للفكر السياسي سيكون ايسر وانفع من دراسة الافكار مجردة عن مفكريها. وهو الذي سيؤخذ به في هذا البحث.

٢- النظرية السياسَية[٣]:

وهي حين تتجه الافكار السياسية نحو التخلص من عناصر الزمان

---

* يتفق هذا التقسيم مع التقسيم الذي اعتمدته لجنة علماء اليونسكو سنة ١٩٤٨م.

٢- من المفكرين البارزين الذين يؤيدون هذا الاتجاه وكان لكتاباتهم العون الكبير في انجاز هذا البحث كل من:

أ- جورج سباين - تطور الفكر السياسي - خمسة اجزاء - دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧١.

b- Sibley, Mulford Q. Political Ideas and Ideologies, Harper & Row, Publishers, New York. 1970.

٣- انظر اتجاهات التعريف بالنظرية السياسية في:

أ - حامد ربيع، النظرية السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٧٤، ص ٦ - ١٣

b- International Encyclopedia of the Social Sciences, OP. cit. P. 307-313.

والمكان، وتسير نحو ايجاد احكام مطلقة جامعة بين المنهاجية التجريبية والواقع او الحركة، وتحاول في هذه الحالة الربط بين مبادىء معينة ونتائج معينة لاكتشاف قواعد التحكم في النشاط، ووضعها في شكل علاقات ارتباطية تفسر العلاقة بين مختلف الظواهر المرتبطة بالسلطة.

ويكون التركيز في مثل هذه الدراسة على الافكار السياسية والمبادىء والقيم العليا في حد ذاتها بغض النظر عن خلافات وجهة نظر الكتاب بشأنها.

موضوعات الفكر السياسي:

اختلفت الموضوعات التي تعرض لها الفكر السياسي وتنوعت باختلاف مراحل حياته، فمنذ وجد الانسان بدأ يفكر في حياته وحياة الجماعة التي يعيش فيها، وطبيعة تنظيم هذه الجماعة والسلطة القائمة فيها، وتطورت افكاره السياسية بتطور الزمان والمكان.

فقد عرفت جميع الامم والحضارات القديمة بعض مظاهر التشريعات القانونية والسياسية وبعض القواعد والافكار السياسية[4]، فقد عرفت الحضارة الصينية القديمة بعض المصلحين من ذوي الافكار السياسية والاخلاقية مثل كونفوشيوس (٥٥١ ق.م.)، وعرفت الهند حكما وافكارا سياسية مثل افكار كوتيليا (٣٤٥ ق. م.) كما عرف الشرق العربي حمورابي (٢٠٦٧ ق.م.) المشرع المشهور، وعرفت الحضارة الفرعونية شكلا معينا من اشكال نظام الحكم، ولكن جميع هذه الافكار والتشريعات لم ترتق الى المستوى المنهجي للمعرفة العلمية وبقيت ترتبط بالاساطير وغيرها.

الى ان جاءت الحضارة اليونانية وبدأت الافكار السياسية في تصوير طبيعة العلاقات الانسانية في دولة المدينة، وركزت على الاسس الاخلاقية للحكم فاهتمت بالقيم السياسية كالعدالة والحرية، ونوعية الحكم والمشاركة الشعبية.

4- Hurwitz Leon, Introduction to Politics, Nelson-Hall, Chicago, 1979, P. 78.

ولذلك تعد الحضارة اليونانية القديمة أول من قدم الفكر السياسي بصورة علمية مستقلة[٥].

وفي حضارة العصور الوسطى سواء الاسلامية منها ام المسيحية ظهرت الافكار السياسية لتعبر عن الصراع القائم بين السلطة الزمنية اي الحكام الدنيويين والسلطة الدينية وركزت الحضارة الاسلامية بالذات على مواصفات الحاكم والشروط الواجب توافرها فيه.

وفي العصور الحديثة تركزت الافكار السياسية حول الشكل الامثل لنظام الحكم، وظهرت النظريات الملكية والديمقراطية لتبرير شكل السلطة وتصرفاتها.

وفي الوقت المعاصر امتدت الافكار السياسية لتشمل نواحي الحياة الاخرى الاجتماعية والاقتصادية، نتيجة التوسعات الضخمة التي شهدتها وظيفة الدولة الحديثة، وظهرت الايديولوجيات المختلفة لتبرير وظيفة الدولة.

مما سبق نستنتج بان موضوعات الفكر السياسي تطورت بتطور الحياة الاجتماعية والسياسية، وواكبت هذه الافكار طبيعة السلطة والدولة وتطورهما في المجتمع.

وقد تعرضت الافكار السياسية لكل من اصل الدولة ومحاولة تفسير نشأة السلطة في المجتمعات القديمة، ثم تطرقت هذه الافكار لطبيعة الدولة والاسس التي تقوم عليها سلطتها، وحق السيادة بداخلها وصاحب السلطة في اصدار القرارات فيها، والعلاقة بين الحكام والمحكومين، ومدى شرعية السلطة فيها وانواع انظمة الحكم، والشكل المثالي للسلطة، بمعنى ان الافكار السياسية تعرضت لكافة فروع علم السياسة وأن كانت تتركز في الأساس على السلطة ذاتها[٦].

5- Barker, Ernest, The Political thought of plato and Aristolte. Dover, New York, 1959 P.1

٦- انظر فروع السياسة في المقدمة.

obeikandl.com

الفصل الاول

الفكر السياسي في العصور القديمة

المبحث الاول:

الفكر السياسي اليوناني:

تأثر الفكر السياسي اليوناني بالبيئة التي عاش فيها، سواء كانت هذه البيئة جغرافية أم اجتماعية ام النظام الطبقي السائد أم الهيئات والمنظمات السياسية التي كانت موجودة في الحضارة اليونانية.

وسنحاول فيما يلي اعطاء تلخيص موجز عن أهم العوامل التي نشأ في ظلها الفكر السياسي اليوناني، فأثرت به وانطبعت عليه، وجاء هذا الفكر فأثر بها وعكسها في كثير من المراحل، وتتمثل في دولة المدينة بنظامها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

مقدمة: لمحة تاريخية:

ابتدأت الحضارة اليونانية بمرحلة من الاساطير والكتابات الغامضة مثل كتابات هوميروس وغيره، وعرفت تلك المرحلة بالعصر الميثولوجي، الى ان جاء طاليس في القرن السادس قبل الميلاد ومعه مجموعة من الكتاب وبدأوا يبحثون عن أصول الطبيعة ومكوناتها، وانتقل بعدها الفكر ليركز على الانسان، ويعتبره محور التفكير، وظهرت في هذه المرحلة فلسفة السفسطائيين الذين عملوا على بلبلة الفكر وزعزعة المفاهيم الموجودة، الى ان ظهر سقراط الذي حاول تحديد المعرفة وحاول وضع منهج لتفكيره، وتطور الفكر فيما بعد لتظهر الفلسفات السياسية التي بدأت تطور على شكل مذاهب متكاملة[1] ممثلة في جهود كل من افلاطون وارسطو واللذين سيكونان موضع الاهتمام في هذه الدراسة.

١- علي عبد المعطي ومحمد علي محمد، السياسة بين النظرية والتطبيق، دار الجامعات المصرية القاهرة، ١٩٧٦ ص. ٥٧ - ٥٨.

دولة المدينة:

كانت المدن اليونانية القديمة تتناثر في الوديان وعلى الجبال اليونانية وما جاورها من الجزر مما اتاح لهذه المدن الفرصة في الاستقلال، والسعي للاكتفاء الذاتي، ومحاولة تطوير أنظمتها الاجتماعية والسياسية، والتصدي للغزو الذي بدأت تتعرض له من المدن الاخرى.

ومن أشهر هذه المدن التي امتازت بالاستقلال كل من اثينا واسبارطة. ولكن التركيز في دراسة دولة المدينة سيكون منصبا على دولة اثينا باعتبارها المركز الحضاري الذي نشأ فيه المفكرون والفلاسفة اليونان الذين أثروا الحضارة الانسانية بافكارهم ونظرياتهم.

الحياة الاجتماعية في دولة المدينة:

كان المجتمع اليوناني القديم يعيش حياة قبلية ممزقة وكان يرأس كل قبيلة من هذه القبائل زعيم يطلق عليه لقب «ملك» لأن نظامه وراثيا، وكان هذا الملك القائد الحربي للقبيلة اثناء حروبها وكان الانتماء لهذه القبائل بالوراثة ايضا.

ومن هذه القبائل نشأت دولة المدينة والتي كانت تعني مجموعة المساكن الخاصة والمباني العامة التي تكون المدينة وان كان هذا المفهوم قد امتد فيما بعد ليصبح مفهوما سياسيا يشمل اراض واسعة تكون خاضعة للمدينة التي هي مقر الحكم و يتبعها عدة مستعمرات زراعية ومراكز تجارية بعيدة[٢].

وأهم ما يميز حضارة هذه المدن تلك الثقافة المشتركة التي كانت تجمع بين اليونانيين، وكذلك تماسكهم نتيجة شعورهم بالتفوق وتمايزهم عن غيرهم من الشعوب.

٢- فؤاد شبل - الفكر السياسي، دراسة مقارنة للمذاهب السياسية والاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٨٣ - ٨٥.

النظام الطبقي[٣]:

ساد المدن اليونانية نظاما طبقيا شكل الاساس للنظام السياسي في تلك المدن، ويقوم هذا النظام على تقسيم المجتمع الى ثلاث طبقات رئيسية متميزة عن بعضها من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وكانت هذه الطبقات في صورة هرم قاعدته طبقة الأرقاء وفي وسطه طبقة الاجانب وعلى رأسه طبقة المواطنين.

كما هو موضح في الشكل:

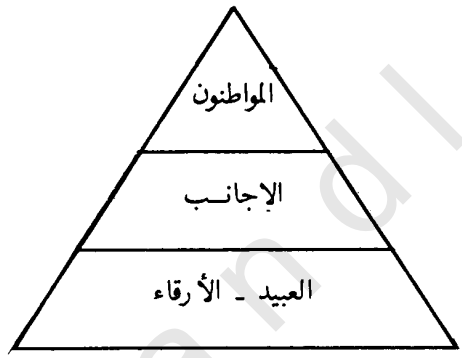

١ـ طبقة المواطنين:

هم أعضاء المدينة من اليونانيين الذين لهم حق المشاركة في حياتها السياسية وفي الشؤون العامة، وكانت صفة المواطنة وراثية يتوارثها الابناء عن الآباء وهي تخول صاحبها امتياز المشاركة في النشاط السياسي، أي أن صفة المواطنة كانت تعني المشاركة اكثر مما تعنيه حقوقا معينة يضمنها لهم القانون كما هي النظرة الحالية.

٣ـ انظر تقسيم الطبقات في دولة المدنية في كتاب سباين ـ الجزء الاول مرجع سبق ذكره ص ٢ ـ ٥ كما يمكن متابعة تأثر البيئة الاجتماعية بالحياة الاقتصادية في دولة المدنية وكذلك الحصول على احصائيات عن عدد ونسبة كل طبقة في المجتمع في كتاب أ. هـ. م. جونز، الديمقراطية الاثينية، ترجمة عبد المحسن الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦، ص ١١٧-١٣٩

٢ـ طبقة الاجانب المقيمين في المدينة:

كان عدد هؤلاء كبيرا خاصة في المدن التجارية مثل اثينا، ولم يكن لهم حق اكتساب المواطنة رغم طول الفترة التي يقضونها في تلك المدن، وقد حرموا من ممارسة النشاط السياسي رغم انهم كانوا احرارا.

٣ـ طبقة العبيد والأرقاء:

كان نظام الرق في المجتمعات القديمة ومنها اليوناني نظاما عاما وكان عنصرا اساسيا في النظام الاقتصادي. وكانت طبقة العبيد والأرقاء طبقة لها وزنها في دولة المدينة وكانت في حالات متعددة تمثل الاغلبية في المجتمع، وهي محرومة من ممارسة اي دور سياسي.

النظام السياسي:

قام النظام السياسي في دولة المدينة على ثلاث مؤسسات رئيسية تتولى تصريف شؤون الدولة وهي[٤]:

١ـ الجمعية:

تتكون الجمعية من جميع المواطنين الذين يبلغون من العمر عشرين سنة. وتمثل الجمعية ندوة شعبية تنتظم عشرة مرات في السنة، ويمكن ان تعقد اجتماعات طارئة حسب طلب مجلس الخمسمائة.

ومع أن نسبة الحضور فيها لم تكن مرتفعة، فانها اختصت بوظائف عديدة منها الوظيفة التشريعية والتصويت على وظائف الحكام واستبعاد غير المرغوب منهم. ومناقشة بعض أمور الموظفين والقضاة ومراقبة مجلس الخمسمائة، ويمتد مجال عملها ليشمل مناقشة السياسة الخارجية وبعض الشؤون الاقتصادية.

٤ـ انظر في ذلك كلاً من:

a- Morrall, John, Aristotle, George Allen & Unein, Boston, 1977, P. 20.

b- Hurwitz, Leon, OP. cit, P.9.

٢ـ مجلس الخمسمائة:

يتكون هذا المجلس من خمسمائة عضو، بمعدل خمسين عضوا عن قبائل اثينا العشرة، وينتخب سنويا بالقرعة ويشترط ان يكون عمر العضو فوق الثلاثين سنة، وكان هذا المجلس يتولى السلطة التشريعية والتنفيذية في الدولة، ويمثل السلطة الفعلية وهو الذي يقوم باعمال الحكومة المركزية.

٣ـ المحاكم:

المؤسسة الثالثة في النظام السياسي كانت المحاكم والتي تمثل السلطة القضائية في الدولة. ويبلغ عدد أعضاء هذه المحاكم حوالي (٦٠٠٠) عضو ينتخبون لمدة عام.

وقد قسمت المحاكم الى تخصصات محددة مثل المحاكم الجنائية او المدنية... الخ.

أفلاطون:

ولد أفلاطون سنة ٤٢٧ ق.م. من عائلة ارستقراطية من اثينا وتثقف افلاطون كأحسن ما يتثقف به ابناء الطبقات الراقية، واظهر ميلا خاصا نحو الرياضيات واخذ الحكمة عن فيثاغورس، ثم تأثر افلاطون فيما بعد بفكرة استاذه سقراط وفلسفته الى درجة يصعب معها في كثير من الاحيان الفصل بين افكار افلاطون وافكار استاذه سقراط[٥].

منهجه وطريقة تفكيره:

اتبع افلاطون منهجا فلسفيا واتجه اتجاها عقليا في تفكيره السياسي، وبذلك وصف أفلاطون بأنه من المفكرين النظريين التجريديين،وقد حاول الرجوع

٥ـ افلاطون، محاورات افلاطون، تعريب زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦، ص١٠

للانسان والجماعة ومعرفة طبيعتها واسرارها ومنها حاول تفسير اصل الدولة ونظامها[٦]. وكان اسلوبه يعتمد على الحوار.

نشأة الدولة عند أفلاطون:

يرى افلاطون ان الدولة قد نشأت نتيجة لتباين حاجات الناس ورغباتهم، وعجز الفرد عن سد حاجاته بنفسه. وحاجته الى الآخرين ومساعدتهم[٧] مما يستوجب تعاون الافراد لاشباع حاجاتهم، ونتيجة لهذا التعاون بين الافراد تنشأ الدولة لاشباع حاجات الناس الاقتصادية وتنظيم تبادل الخدمات بينهم، وبذلك يكون افلاطون قد استبعد فكرة القوة والسلطة في نشوء الدولة.

ومن هنا تكون وظيفة الدولة الاساسية في رأيه توفير اسهل الطرق والوسائل لتعاون الافراد وتبادل الخدمات، وان على الدولة توفير قيام الفرد بالتزاماته الإجتماعية، وبذلك يكون تصور افلاطون للدولة كنظام للخدمات المتبادلة يقوم كل عضو فيه بقدر من الاخذ والعطاء ومهمة الدولة تحقيق التوافق بين عمل الافراد[٨].

تقسيم العمل:

انطلق افلاطون في نظرته لمبدأ تقسيم العمل والتخصص من الفرضية الاولى التي آمن بها وهي تفاوت قدرات البشر ومواهبهم، وان انتاج الفرد يكون اكثر جودة حين يعمل عملا يتفق مع استعداده الطبيعي، وأن الدولة نشأت لرغبة الافراد في تبادل الخدمات وان مهمتها الاساسية تسهيل تبادل الخدمات بينهم واشباع حاجاتهم.

6- Ball, Terence, Political, Theory and praxis, New perspectives, University of Minnesota Press, 1977, p. 57.

٧- افلاطون الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة، بدون تاريخ، ص ٥٦.

٨- نفس المرجع، ص ٢٣٢ - ٢٣٣.

وقد حاول افلاطون تقسيم النفس البشرية وقدرات البشر الى فئات أعتمادا على اسس فلسفية واخلاقية، نابعة من تقسيمه للفضائل وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة والتي منها توصل الى تقسيم الأنفس الى ثلاث انواع هي:

١- النفس العاقلة ومركزها العقل والرأس وتختص بفضيلة الحكمة.
يمثلها الحكام الفلاسفة

٢- النفس الغضبية ومركزها القلب والصدر وتختص بفضيلة الشجاعة.
يمثلها الحراس والجنود

٣- النفس الشهوانية ومركزها اسفل البطن وتختص بفضيلة العفة.
يمثلها اصحاب الحرف والمهن

أما الفضيلة الرابعة وهي العدالة فتتحقق من خلال تقسيم العمل بين هذه الانفس وضمان التوازن بينها وعدم تدخل طبقة في شؤون الطبقة الثانية.

ومن خلال هذا التسلسل في تأملات افلاطون الفلسفية حول النفس البشرية وتقسيم العمل، وانطلاقا من ايمانه بالاصل المشترك لكل من الدولة والفرد، توصل افلاطون الى تحديد ثلاثة وظائف هامة للدولة يجب تأديتها هي:-

١- حكم الدولة.
٢- حماية الدولة.
٣- اشباع الحاجات وتبادل الخدمات.

وحاول افلاطون الربط بين وظائف الدولة هذه وطبقات المجتمع فقسم المجتمع الى ثلاث طبقات هي[٩]:

١- الطبقة الاولى:

طبقة الحكام الفلاسفة وهي الطبقة العليا في المجتمع والذين توكل لهم مهمة ادارة الحكم لانهم يتمتعون بالحكمة.

٩- انظر وظائف الدولة وطبقات المجتمع في كتاب افلاطون، الجمهورية مرجع سبق ذكره ص ٢٩٥ - ٣٠١.

٢ـ الطبقة الثانية:

طبقة المحاربين، ومهمتهم حماية الدولة والدفاع عنها لانهم يمتازون بالشجاعة ويجب ان يكونوا تحت رقابة غيرهم.

٣ـ الطبقة الثالثة:

وهي ادنى طبقة يمثلها اصحاب الحرف مثل الصناع والتجار والزراع وهم الذين اهلتهم الطبيعة للعمل وتلقى الأوامر وهم عامة الشعب والذين يجب ان يتمتعوا بالعفة.

يرى افلاطون بان الطبيعة هي التي فرضت هذا التقسيم للمجتمع ولذلك لا يجوز ازالة هذه الفوارق، كما انه لم يجعل الانتماء لهذه الطبقات وراثيا بل على العكس من ذلك آمن بان غاية المجتمع اتاحة الفرصة لكل طفل فيه الانتفاع باعلى مستوى من التدريب الذي يتلاءم مع طبيعته وان تتاح له الفرصة لكي يصل الى اعلى المراكز التي تؤهله قدراته للوصول اليها.

فكرة العدالة عند افلاطون:

نظر افلاطون الى العدالة على انها رباط المجتمع واساس الدولة، وهي تعنى ان يجد كل فرد الدور الذي يؤديه وفقا لاستعداده الطبيعي، وتقوم فكرة العدالة عنده من خلال التزام كل فرد حدود الطبقة التي ينتمي اليها تبعا لطبيعته وتكوينه، ولا يحاول ان يتعدى نطاقها الخاص او يتطلع الى غيرها من الطبقات[١٠]، وقد اعتبرها افلاطون فضيلة خاصة وعامة، فهي فضيلة خاصة لأنها تسمح للانسان الحصول على وظيفة او عمل مناسب وتجعله صالحا لادائه. وهي فضيلة عامة لانها تجعل المجتمع صالحا من خلال قيام كل شخص بعمل يجيده، وتضع الشخص المناسب في المكان المناسب وبذلك يستفيد المجتمع من عمل الافراد بصورة افضل.

١٠ـ كتاب الجمهورية، ص ٨٧، و يقدم افلاطون تعريفا للعدالة في كتابه المذكور من ص ٢٣١ ـ ٢٣٧.

نظام التعليم:

يرى افلاطون بان التعليم هو كسب المعرفة وان الذين يحصلون العلم لا يفعلون اكثر من ان يتذكروا، وان الجهل عبارة عن نسيان[11]، وتنطلق نظرية افلاطون في التعليم من فكرة ان «الفضيلة هي المعرفة» والفضيلة قابلة للتعليم ولا بد من وجود نظام تعليمي في الدولة يضمن وصول المعرفة للمواطنين. ونظر افلاطون الى الدولة باعتبارها منظمة تعليمية و يرى ان التعليم هو الوسيلة الايجابية التي يستطيع الحاكم بواسطتها تكييف الطبيعة البشرية وتوجيهها نحو تحقيق مصلحة الفرد والمجتمع وتحقيق الدولة المتجانسة، وان التعليم هو الوسيلة التي تزيل العقبات من طريق السياسي[12]. ولذلك فهو يطالب بارتباط الطبقة الحاكمة بالمعرفة والثقافة.

النظام الاجتماعي:

آمن افلاطون بان اصلاح عقول الناس بصفة دائمة يعتمد الى حد كبير على طابع الاحوال الاجتماعية التي يعملون بها، وازالة الاحوال المادية التي تعرقل هذا الاصلاح. ومن هنا كان افلاطون يبحث عن نظام للحياة يكون اكثر ملاءمة للحياة المثالية العادلة ويخلص العنصر الاكثر سموا في العقل وهما طبقتي الحكام والجند من الدافع الاقتصادي والشهواني اللذين يعيقا انطلاقة العقل وسموه.

ولهذا اقترح افلاطون فكرتين في النظام الاجتماعي لاستبعاد تأثير العوامل المحيطة على سمو العقل واداء الطبقة الحاكمة وهما[13].

١- تحريم الملكية الخاصة على الحكام سواء كانت عقارا او مالا منقولا ووجوب عيشهم في معسكرات. لكي لا ينشغلوا بملكيتهم عن اداء وظيفتهم.

٢- الغاء الزواج الفردي الدائم والاستعاضة عنه بالانسان الموجه وفقا لمشيئة

١١- كتاب المحاورات ص ١٣٧ - ١٤٥.

١٢- ارنست باركر، النظرية السياسية عند اليونان، مؤسسة سجل العرب. القاهرة، ١٩٦٦، ص ١٢.

١٣- كتاب الجمهورية، ص ٣٤٤ - ٣٥٤.

الحاكمين لانتاج اصلح سلاله ممكنة، ونظر افلاطون الى العاطفة العائلية كمنافس قوي للولاء للدولة، فانشغال الافراد بابنائهم يشغلهم عن القيام بادوارهم السياسية بعدالة، ولم يمانع في احتفاظ الطبقة الثالثة الزراع والصناع باسرهم وعائلاتهم.

نظام الحكم:

بنى افلاطون نظرته الى شكل الحكم انطلاقا من ايمانه بضرورة سيادة العدالة في المجتمع والتي تتحقق في رأيه مهما اختلف شكل الدولة السياسي، من خلال اعطاء الحكم للفئة الاحق به، ويوكل اليها هذا العبء لانها الاقدر على حمله. وحين حاول افلاطون المفاضلة بين انواع الحكومات ركز على اهمية المعرفة في الحكومة وقدرتها على تحقيق العدالة، وقد تدرج مفهومه لشكل الحكومة وطبيعتها وفق تدرج خبرته وملاحظاته في كتبه الثلاث ففي:

١- كتاب الجمهورية:

صب افلاطون اول تأملاته السياسية الفلسفية حول فكرة الجمهورية الفاضلة (Utopia) في كتابه الجمهورية الذي بلغ اعلى مراتب الكتب السياسية من حيث التسلسل المنطقي في تفسير افكاره، وتوصل افلاطون في نظرته المثالية تلك الى ضرورة اخضاع كل شيء في الدولة لشخص الحاكم الفيلسوف الذي هو قبل كل شيء مفكر وباحث عن الحقيقة[١٤]. وكان يعتبره المثل الاعلى، وكان ينظر الى الحاكم كوصي على المحكومين وراعيا للقطيع وان الافراد لا يملكون الا اطاعته. أي أنه لم يتصور الحكم الا على أنه حكم مطلق، وقد ربط افلاطون بين المعرفة والفضيلة واعتبر الحكومة المثالية هي الحكومة المستنيرة بالعقل، وبالتالي فهذه الحكومة لا يمكن ان تكون الا حكومة النخبة صاحبة المعرفة، وان الحكم يجب ان يترك في فئة من الخبراء وهم الحكام والفلاسفة[١٥]. أي أنه يدعو الى الدولة كما يجب ان تكون بمعنى انها دولة خيالية وغير موجودة فعلا.

١٤- كتاب الجمهورية، ص ١٠٧ - ١١٠.

15- Hurwitz, Leon, OP. Cit, P. 11.

٢- في كتابه السياسي: *

لم يكن اغفال افلاطون لأهمية القانون في دولته المثالية الا نتيجة منطقية لفلسفته السياسية القائمة على ترجيح المعرفة العلمية على الآراء الشعبية وما يتبعها من قوانين وعادات وعرف، الا انه في كتابه السياسي ومن خلال تجربته وملاحظته توصل الى ان فكرة الحاكم الفيلسوف التي طرحها في كتابه الجمهورية صعبة المنال ان لم تكن مستحيلة، ومن هنا نحى منحا آخر في السعي لتحقيق دولته المثالية، وسار نحو التمييز بين الحاكم المثالي الفيلسوف وبين رجل الدولة السياسي وتوصل الى ضرورة وجود القوانين لمساعدة السياسي في الحكم لما لها من أهمية في تنظيم المجتمع، ورأى فيها تعبيرا عن الحكمة او التجربة وأنها ناتجة عن نزعة البشر للحكمة[١٦].

وقد نظر افلاطون الى هذه الدولة التي تحكم بالسياسي والقوانين معا كدولة تالية في الافضلية بعد الجمهورية.

٣- في كتابه القوانين:

تراجع افلاطون عن بعض آرائه السابقة في الجمهورية بخصوص حكم الفلاسفة وشيوعية النساء والملكية، وقال بانه من المستحيل وجود نظام حكم مثالي لافراد ليسوا انفسهم مثاليين، ولذلك اقترح نظاما يقوم على القانون لمجابهة الحياة الواقعية.

وتوصل افلاطون في كتابه هذا الى فكرة الدولة المختلطة التي تقوم على التوازن بين طبقات المجتمع، والتي تجمع بين مبدأ الحكمة في النظام الملكي ومبدأ الحرية في النظام الديمقراطي، وتستند هذه الحكومة المختلطة في رأيه على أساس دستور صيغت موادة بعناية بالاضافة لوجود حكومة ارستقراطية تقوم على فصل السلطات[١٧].

---

* Plato, The statesman, Routledge, London, 1961.

١٦- محمد فتح الله الخطيب، دروس في مبادىء العلوم السياسية، تطور الفكر السياسي دار النهضة العربية القاهرة، ١٩٦٨، ص ٤

١٧- مصطفى غالب افلاطون، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت ١٩٧٩ ص ٩٨ - ١٠٢.

وانظر ايضا:

Straiss, leo, The Argument and the Action of plato's laws, The University of Chicago press, Chicago, 1975, book. 1

أرسطو طاليس:

حياته:

ولد سنة ٣٨٤ ق. م.، في مدينة ستاجيرا المقدونية، وهاجر الى اثينا سنة ٣٦٧ ق.م. ليدرس الفلسفة على يد افلاطون وقد تأثر بفلسفته، وقد شغل ارسطو عدة مناصب كان اهمها سنة ٣٤٣ ق.م. حين اختير معلما للاسكندر المقدوني، وبعدها افتتح مدرسة خاصة به في اثينا، لكنه اضطر لترك اثينا بعد موت الاسكندر الاكبر نتيجة النقمة على المقدونيين[١٨].

منهجه:

انتقل ارسطو بعلم السياسة من اسلوب المحاورات المعروفة لدى افلاطون الى اسلوب المحاضرة المعروفة بدقتها والتي تظهر بشكل أدبي مميز[١٩]، وقد أرجع الفضل لارسطو في تنظيم علم المنطق وترتيبه ووضع قواعده ونظمه، وقد اتسم منهج ارسطو في البحث بالواقعية ومعالجة العلوم الانسانية الموجودة في عصره، وقد كانت معظم آراء ارسطو تقوم على الترتيب المنطقي والاعتماد على الملاحظة العملية الدقيقة التي تعتمد التحليل واستخلاص النتائج للظواهر الموجودة في عصره[٢٠]، وبهذا يكون منهجه قد اتجه اتجاها واقعيا واستقرائيا يحاول تطبيق مناهج العلوم الطبيعية في دراسة الظواهر السياسية.

نظرته للمجتمع واصل الدولة:

تمثل العائلة في نظر ارسطو الخلية الاولى في بناء المجتمع وانها وجدت

18- Morral, John, OP. Cit, PP. 42-43.

19- Barker, Ernest, Creek political Theory, plato and his predecessers, Methuen ed., Co. Ltd., London, 1951, p.118.

20- Ball, Terence, Op. Cit. P. 57.

obeikandl.com

لاشباع حاجات الانسان الجنسية ورغبة الانسان في حفظ النوع، هذا بالاضافة الى نظام الرق الذي يقوم على العلاقة بين السيد والعبد كنتيجة طبيعية للحياة ولرغبة الانسان في توفير ضرورات الحياة، ويرى ارسطو بان هذين الاجتماعين البدائيين العائلة ونظام الرق يساعدان في اشباع حاجات الانسان الطبيعية والاساسية، ويرى بان رغبة الانسان في تحقيق حياة اسمى دعته الى التجمع. فتجمعت العائلات معا لتشكل القرية، ومن تجمع عدة قرى انشئت المدينة، والتي من تجمعها وجدت الدولة[٢١].

الطبقات الاجتماعية:

اهتم ارسطو بالاساس الاقتصادي وتوزيع الثروة في عملية تقسيمه للمجتمع الى طبقات اجتماعية، واعتبر ارسطو بان وجود الثروة والملكية شرطا أساسيا للحياة الاجتماعية والسياسية، ورفض نظرية افلاطون في شيوعية الملكية، وقال بان مساواة الثروة بين اهل المدينة قد يحقق بعض المنافع في تلافي المنازعات الداخلية لكنه لا يخلو من بعض المضار الناتجة عن ظلم الناس المبرزين والاكثر نشاطا وحرمانهم من زيادة ثروتهم، ولذلك فهو يدعو الى الاعتدال في توزيع الثروة ويطالب بتحقيق العدل الاجتماعي[٢٢].

وقد حاول ارسطو تقسيم الطبقات في المجتمع بناء على تقسيم العمل والانشطة في داخل المجتمع، وقال بان طبقة المواطنين هي التي تمتاز بالتشريف السياسي وهي القادرة على الحكم وتقبل حكم غيرها.

أما الطبقات العاملة والحرفية فهي غير مؤهلة للاشتراك في الحكم وان الطبيعة قد اهلتها لتلقي الأوامر والاطاعة فقط.

21- Aristolte, The Politics Translated with Introduction Notes and Appendixes by Ernest, Barker Oxford University Press, 1961, Book.1., ch. 1.

توجد ترجمة عربية لكتاب السياسة لارسطو بقلم احمد لطفي السيد. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩، هذا وقد اعتبر ارسطو الرق نظاما طبيعيا وحاول تبرير اعتقاده هذا في الباب الثاني من الكتاب الأول.

22- The Politics, Book. 1. Ch. 1.

وظائف الدولة:

يرى ارسطو بان الهدف الحقيقي للدولة يجب ان يشمل ارتقاء مواطنيها وان لا يقتصر على الحفاظ على الحياة لوحدها. لأن الدولة يجب ان تكون شركة بين اناس يعيشون لتحقيق حياة أفضل، وتعتبر الدولة في رأي ارسطو اسمى من الفرد والعائلة والمدينة لانها تمثل الكل والكل اسمى من الجزء لأنه اذا فسد الكل لا يبقى الجزء. و يعتبر ارسطو التعليم واجب الدولة الرئيسي والذي يسعى لتحويل الافراد الى مواطنين صالحين من خلال رفع مستواهم الثقافي والخلقي والبدائي وتعليمهم العادات الحسنة.

تقسيمة للحكومات:

ميز ارسطو الدولة التي هي في نظره تتكون من مجموع المواطنين و بين الحكومة التي تتكون ممن يتولون سلطة اصدار الاوامر في الدولة. ونظر الى الدستور على أنه النظام المرتب لجميع الوظائف في الدولة وخاصة الوظائف المتعلقة بالسيادة، وأن السيادة في الدولة تكون للحكومة وأن الحكومة هي الدستور نفسه. وقسم ارسطو الحكومة الى ثلاث سلطات رئيسية هي التشريعية والتنفيذية والقضائية ونادى بنظرية فصل السلطات لتحقيق التوازن داخل الحكومة.

وقد اعتمد ارسطو على معيارين اساسيين في تقسيمه لانواع الحكومات وهما[٢٣]:

١- من هو صاحب السيادة العليا في الدولة والذي يمثل الدستور، هل هو شخص؟ أم اقلية؟ أم جماعة؟.
٢- من هو صاحب المنفعة من وجود الحكومة والدستور وما هي الغاية التي تهدفها الحكومة هل هي مصلحة خاصة أم عامة؟

وبناء على هذين المعيارين ميز أرسطو بين ستة انواع من الحكومات:

23- The politics, book. 3, Ch. 5.

١- الحكومة الملكية: هي الحكومة التي تكون فيها السيادة لفرد فاضل يحكم للمصلحة العامة.

٢- حكومة الطغيان «الاستبدادية»: وهي التي يحكمها فرد يسعى لتحقيق منفعته الشخصية.

٣- الحكومة الارستقراطية: وتكون السلطة فيها بيد اقلية خيرة (فاضلة) وتهدف لتحقيق الخير الاكبر للمجتمع.

٤- الحكومة الاوليجاركية: وتكون السلطة فيها لأقلية تهتم بمصالحها الخاصة وتكون المنفعة فيها للاغنياء.

٥- الحكومة الجمهورية «الديمقراطية»: وهي التي تحكم بواسطة الاكثرية ولا غرض لها الا الصالح العام.

٦- الحكومة الديماغوجية: وهي التي تتكون فيها السلطة العامة من الفقراء المتبعين أهواءهم و يسعون لتحقيق مصالحهم.

الحكومة والدولة الفاضلة:

حين حاول ارسطو تحديد الحكومة الفاضلة من بين الحكومات السابقة، توصل الى أن هذه الحكومة يجب ان تكون مناسبة للظروف التي تعيش فيها، وقال بأن العقل السياسي في الدولة الفاضلة لا يمكن فصله عن العقل الكامن في قوانين وعادات الجماعة التي يحكمها، وأن الحكومة التي تنجح في ظروف معينة قد لا تصادف نفس النجاح في ظروف مغايرة. وقد ركز على أهمية الحكم الدستوري القائم على سيادة القانون ورفض الحكم الاستبدادي حتى ولو كان استبداداً مستنيراً وصادرا عن الملك الفيلسوف، وقال بان العلاقة بين الحاكم والمحكوم في الدولة الدستورية تختلف عن أي علاقة اخرى تقوم على الخضوع، وذلك لانها لا تسلب الطرفين حريتهم وقال بأن سلطة الحاكم الدستوري على رعاياه تختلف عن سلطة السيد والعبد، وطالب باشراك جميع المواطنين في اصدار القوانين سواء العامة منهم او الخاصة، لأن اشتراك الطرفين معا يخلق قوانين عادلة، وأن الحكمة الجماعية للشعب أسمى من حكمة اعقل وأفضل المشرعين، وأن افراد الشعب يكمل بعضهم بعضا، وقال بان القانون هو الذي يتصف

بالموضوعية لأنه «العقل المجرد عن الهوى» وأن السيادة يجب أن تكون للقانون المؤسس على العقل، وهو في رأيه يعلو سيادة الشعب[٢٤].

وبهذا يكون ارسطو قد اتفق في نظرته للدولة الفاضلة القائمة على سيادة القانون مع نظرة افلاطون في كتابيه السياسي والقوانين والتي كانت تمثل بالنسبة لافلاطون المرتبة الثانية بعد الدولة المثالية التي عرضها في كتابه الجمهورية.

وقد فضل ارسطو الحكومة الدستورية لانها تتميز بمجموعة من الصفات تجعلها أفضل من غيرها من الحكومات نوجزها فيما يلي[٢٥]:

١- انها حكومة تستهدف الصالح العام وليس مصلحة شخص او طبقة معينة وتسعى لتحقيق السعادة والخبرة لافرادها.
٢- انها حكومة قامت لهدف اخلاقي يسعى للارتقاء بمواطنيها خلقيا، وأنها شركة بين افراد يعيشون معا لتحقيق حياة أفضل.
٣- انها تعتمد على القواعد القانونية العامة التي تتناسب مع العادات والعرف السائد ولا تقوم على اوامر تحكمية.
٤- انها تقوم على مبدأ الاكتفاء الذاتي وتعاون جميع الافراد، وتهيئة جميع الظروف المناسبة لتحقيق حياة اسمى، وهي متوسطة الحجم وقادرة على سد احتياجاتها.
٥- انها تقوم على اقتناع الافراد بها وموافقتهم عليها، وليس نتيجة خضوعهم لها بالقوة، وأنها تحفظ للافراد كرامتهم.

الاستقرار السياسي والثورة:

ركز ارسطو على اهمية الاستقرار السياسي في الدولة الفاضلة واعتقد بان دولة المدينة المحدودة السكان والمساحة والقادرة على الاكتفاء الذاتي هي الأقدر

24- The Politics, Book, 3, ch: 6.

٢٥- سباين، مرجع سبق ذكره، ص ١٢٠.

على تحقيق الاستقرار السياسي بداخلها، وآمن بان توزيع الثروة العادل في المجتمع من الامور الاساسية لضمان الاستقرار السياسي وذلك من خلال وجود طبقة وسطى كبيرة. اما التفاوت الاجتماعي والغنى الفاحش أو الفقرَ الشديد سيؤدي الى عدم الاستقرار*.

وحين تعرض ارسطو للثورات واسبابها ارجعها لعدة عوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية مختلفة.

خصائص الفكر السياسي اليوناني:

امتاز الفكر السياسي اليوناني بمجموعة من الصفات التي تميزه عن غيره من الافكار السابقة واللاحقة نوجزها فيما يلي[٢٦]:

١- تميز الفكر السياسي اليوناني بأنه كان باستمرار تابعا للفلسفة والميتافيزيقيا (علم ما وراء الطبيعة) بحيث نجد ان معظم المفكرين السياسيين في الحضارة اليونانية هم في الأصل فلاسفة لهم نظرات عامة للكون والعالم والحياة، وأن أي محاولة لفهم هذا الفكر يجب ان تبدأ بتحليل نظرية المعرفة والفضيلة في الحضارة اليونانية بشكل عام. ويلاحظ بان المفكرين اليونانيين استخدموا نظرياتهم الاخلاقية كأساس في تفسير السلوك السياسي[٢٧].

٢- يجعل الفكر السياسي اليوناني غايته الوحيدة بناء المدينة الفاضلة وتقديم تلك الصورة التي تحقق للمواطن السعادة الحقيقية، ولم تعرف الحضارة اليونانية الفصل بين الحياة العامة والحياة الخاصة وكان ينظر باستمرار للفرد في اطار مدينته. وكانت الحياة في المدينة تعنى المواطنة ونوع من المشاركة السياسية.

---

* انظر تحليلات ارسطو للثورة في الكتاب الثامن من السياسة The Politics حيث افراد لها عشرة أبواب متتالية وأولاها عناية خاصة وشرحا مفصلا.

٢٦- يمكن متابعة المزيد من مميزات وخصائص الفكر السياسي اليوناني في حامد ربيع النظرية السياسية، مرجع سبق ذكره، ١٣٨ - ١٤٢.

27- Morrall, John, Op. Cit, P. 58, 60, 65.

٣- مال الفكر السياسي اليوناني في معظم حالاته الى الاتجاه الخيالي والابتعاد عن الواقعية، حيث كان البحث يدور حول ما يجب ان تكون عليه الدولة وليس كما هي في الواقع، كما امتاز بالتجريد والاطلاق الذي يتعارض في الغالب مع طبيعة الظاهرة السياسية التي تمتاز بالتركيب والتعقيد.

obeikandl.com